محور بحوث العلوم الإسلامية

الإمام الثعالبي ومنهجه في تعامله مع القراءات في تفسيره "الجواهر الحسان" "– نماذج منتخبة–"

تاريخ الإرسال: 2018/02/22
تاريخ القبول: 2018/02/26
تاريخ النشر: 2018/06/01

بقلم
د/ زايدي كريم (*)

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان منهج الإمام عبد الرحمن الثعالبي المتوفى سنة 875 هـ في إيراده للقراءات في تفسيره الجواهر الحسان، ففي البداية عرضت البحث ببيان مفهوم توجيه القراءات والألفاظ المرادفة له، ثم ذكرت فضل علم التوجيه وأهميته ونشأته، ثم تطرقت إلى التعريف بالإمام الثعالبي ذاكرا حياته الشخصية والعلمية وأهم نشاطاته، بعدها أوضحت منهجه في تعامله مع القراءات حيث تعددت أساليب التوجيه عنده واختلفت بحسب تنوع القراءات واختلافها.

الكلمات المفتاحية: الثعالبي؛ التوجيه ؛ القراءات؛ التفسير ؛ الجواهر الحسان.

مقدمة:

اهتم علماء الإسلام بالقرآن الكريم وبعلومه اهتماما بالغا، وخاصة ما يتعلق بعلم القراءات والاحتجاج لها، فهو من العلوم الهامة التي لا غنى للمفسر عنها، إذ تعينه على فهم المعنى التفسيري.

والثعالبي –رحمه الله– من هؤلاء العلماء، فقد اعتنى بالقراءات في تفسيره "الجواهر الحسان"، وكان له منهج في التعامل معها وتوجيهها، فأراد الباحث أن يبيّن ذلك في هذا البحث،

(*) قسم الشريعة والقانون – كلية العلوم الإسلامية – مخبر الشريعة – جامعة الجزائر1.
abouhoussamdz@gmail.com

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

أهمية موضوع البحث:

– تكمن أهمية البحث في كونه متعلقا بكتاب الله عز وجل، فينال المشتغل بالتوجيه من الفضل الإلهي في الدارين ما يناله المشتغل بالقرآن.

– بيان فوائد تعدد القراءات القرآنية وأنها ساهمت في تعدد المعاني التفسيرية واتساعها، حتى غدت كل قراءة بمنزلة آية مستقلة.

– مكانة الثعالبي العلمية، فقد كان معروفا عنه أنه عالم زمانه وألف في شتى العلوم والفنون.

إشكالية الموضوع:

ما منهج الثعالبي في توجيهه للقراءات الواردة في تفسيره؟ وما هي القواعد التي اعتمدها في التوجيه؟

أهداف البحث: كان الغرض من هذا البحث تحقيق جملة من الأهداف هي كالتالي:

– التعرف على علَم من أعلام الجزائر، وهو عبد الرحمن الثعالبي.

– التعرف على منهج الثعالبي في عرضه للقراءات الواردة في تفسيره وتوجيهها.

الدراسات السابقة: وقفت على بعض الدراسات عن الإمام الثعالبي أذكر منها:

–دراسة بعنوان: توجيه الثعالبي للقراءات القرآنية من خلال تفسيره "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للباحث فريد لوبار؛ ومما يؤاخذ على الباحث في هذه الدراسة إغفاله لبعض أنواع التوجيه التي اعتمدها الثعالبي، كالتوجيه بالمعنى التفسيري والاستدلال بأسباب النزول للآية، والتوجيه الفقهي، وقد تم استدراكهما عليه والحمد لله.

–مقال محكم للدكتور عبد المجيد بيرم بعنوان: منهج الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في تعامله مع المرويات من خلال تفسيره "الجواهر الحسان"؛ وهو بحث قيم، فقد تطرق الباحث إلى بيان موقف الثعالبي من الروايات الإسرائيلية والروايات الواردة في فضائل القرآن، غير أنه أغفل ذكر موقف الثعالبي من القراءات التي احتج لها بالسنة.

منهج المعالجة: للإجابة عن الإشكالية المبرزة سابقا، اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، فعمدت إلى انتقاء نماذج من القراءات القرآنية التي عرضها الثعالبي في تفسيره، وقمت ببيان موقفه منها والقواعد المعتمدة في الاحتجاج لها، وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومبحث تمهيدي ومبحثين على النحو الآتي:

مبحث تمهيدي: مدخل إلى علم توجيه القراءات

المطلب الأول: مفهوم توجيه القراءات.

المطلب الثاني: مرادفات مصطلح التوجيه.

المطلب الثالث: فضله وأهميته.

المطلب الرابع: نشأته وبعض المصنفات فيه.

المبحث الأول: التعريف بالإمام الثعالبي، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، نسبته، وشهرته.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: رحلاته.

المطلب الرابع: شيوخه وتلامذته.

المطلب الخامس: مؤلفاته ونشاطاته.

المطلب السادس: ثناء العلماء عليه ووفاته.

المطلب السابع: التعريف بتفسير الثعالبي "الجواهر الحسان".

المبحث الثاني: تعامل الثعالبي مع القراءات، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: التوجيه بالنظير من الآيات القرآنية.

المطلب الثاني: التوجيه بالاعتماد على رسم المصحف.

المطلب الثالث: التوجيه بالقراءة الشاذة.

المطلب الرابع: التوجيه بالحديث النبوي الشريف.

المطلب الخامس: التوجيه بالمعنى التفسيري، والاستدلال بأسباب النزول للآية.

المطلب السادس: التوجيه بلغة العرب.

المطلب السابع: التوجيه الصرفي والنحوي.

المطلب الثامن: التوجيه الفقهي.

خاتمة البحث: وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها مع بعض التوصيات.

مبحث تمهيدي

علم توجيه القراءات

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

مفهوم توجيه القراءات

الفرع الأول: التوجيه لغة:

التوجيه: مصدر للفعل وجَّه، تقول: وجَّهَ يوجِّه توجيهًا[1]، ووجهُ الكلام: السبيل الذي تقصِدُه

به. ويقال في المثل: وَجِّه الأَمرَ وَجْهَهُ؛ يضرب مثلا للأمر إذا لم يستقم من جهةٍ، أن يُوَجِّهَ لَهُ تدبيرا من جهةٍ أخرى، وأصل هذا في الحَجَر يُوضَع في البناء فلا يستقيمُ، فيُقْلَبُ على وجهٍ آخرَ فيستقيم[2]، ويجمع الوجه على: الأوجه والوجوه والأجوه[3].

فحقيقة التوجيه عند اللغويين هو أن يقصد المُوَجِّه جهةً يعتقد أنها تزيل الإشكال وتوضح المقصود.

الفرع الثاني: التوجيه اصطلاحا:

عرّفه أحمد سعد بأنه: "فن يُعنى بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، وبيانها والإيضاح عنها"[4].

وعرّفه محمد أحمد مفلح القضاة وغيره بأنه: "علم غايته بيان وجوه القراءات القرآنية واتفاقَها مع قواعد النحو واللغة العربية، ومعرفة مستندها اللغوي تحقيقا للشرط المعروف (موافقة اللغة العربية ولو بوجه)"[5].

الفرع الثالث: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

يلاحظ أن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي من خلال التعريفين السابقين الذين وردا في معنى التوجيه اصطلاحا، أن معنى التوجيه يدور حول إيضاح الوجه المقصود من القراءة؛ وهذا يتطلب تقليب القراءة من جميع وجوهها التي تحتملها اللغة العربية ولو بوجه[6].

المطلب الثاني

مرادفات مصطلح التوجيه

ألّف العلماء في علم توجيه القراءات تحت أسماء كثيرة اعتبرت مرادفات له، وهي كالتالي:

- **التعليل:** ومنه كتاب "التعليل في القراءات السبع" لأبي العباس الموصلي النحوي.
- **التخريج:** وهو مصطلح درج عليه ابن هشام في مصنّفاته، والسيوطي في مؤلفاته، يرادفان به التوجيه.
- **التأويل:** ومن ذلك قول أبي حيّان : "أمّا (فِعْل) فمفقود، ومن قرأ : (ذَاتِ الحِبُك) بكسر الحاء وضمّ الباء، فمتأوّل قراءته".
- **الإيضاح:** ومنه كتاب "المحتسب في تبيين وجوه القراءات والإيضاح عنها"، ويلحق به الموضح من التوضيح أي: التبيين، "كالموضح في وجوه القراءات" لابن أبي مريم.
- **الاحتجاج:** مثل "احتجاج القراءة" للمبرد، و"احتجاج القرأة" لابن السراج.
- **الحجة:** كـــ"الحجّة للقراءات السبعة " لأبي علي الفارسي.
- **الانتصار:** ومنه: "الانتصار لحمزة" لأبي طاهر عبد الواحد البزّار[7].

المطلب الثالث

فضله وأهميته

الفرع الأول: فضله:

قال عنه ابن عطية: "إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع"[8].

وقال الزركشي: "هو فن جليل، وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به وأفردوا فيه كتبا"[9].

من خلال كلام ابن عطية والزركشي، نفهم أن ابن عطية اعتبر أن تعلم توجيه القراءات يؤدي إلى فهم معاني ألفاظ القرآن التي عنها تنشأ الأحكام الشرعية، بينما اعتبر الزركشي أن تعلمه إنما لأجل معرفة عمق ألفاظ القرآن ومتانتها وعذوبتها.

والصواب أن كلا القولين صحيح، فتوجيه القراءات يُقصد به الوقوف على معاني كلام الله لأجل الامتثال، ولمعرفة أيضا جزالة الألفاظ وعظمها.

الفرع الثاني: أهميته:

أما أهميته، فتكمن في ردّ الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات[10].

المطلب الرابع

نشأته وبعض المصنفات فيه

الفرع الأول: نشأته:

بزغت بواكير هذا الفن في هيئة ملاحظات أولية تروى عن بعض الصحابة والتابعين والقراء، مفرقة لا تستوعب قراءة بعينها ولا عددا من القراءات، وإنما ترد عند الحاجة[11].

أما من حيث التدوين، فيذكر المهتمون بحركة التأليف عموما وبعلم القراءات على وجه الخصوص أن أبا عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة 224 هـ) هو أول من دوّن في علم القراءات وجعلها في مصنف واحد، وجعلهم خمسة وعشرين قارئا مع القراء السبعة[12]، لكنّ المحققين قالوا إن هارون بن موسى العتكي البصري (المتوفى سنة 170 هـ) هو أول من تطرق إلى القراءات وإلى الشاذ منها في كتابه الموسوم "وجوه القراءات"، يقول أبو حاتم السجستاني: " كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألّف فيها وتتبع الشاذ منها، فبحث عن إسناده هارون بن موسى الأعور، وكان من القراء"[13].

الفرع الثاني: بعض المصنفات في توجيه القراءات[14]:

تتبع بعض الباحثين ما دوّن في توجيه القراءات، فأحصوا عددا لا بأس به، وهي كالتالي:

– كتاب احتجاج القراءة للمبرد (ت 286 هـ).

– معاني القراءات لأبى منصور الأزهري (ت 370 هـ)، وهو مطبوع محقق في عدة أجزاء، وهو مشتمل على توجيه القراءات العشر، وإن كان لم يسم خلفا العاشر، فوجوه قراءته مندرجة في قراءات التسعة الذين سماهم.

– إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه (ت 370 هـ)، وهو مطبوع محقق في مجلدين.

– الحجة لأبى على الفارسي (ت 377 هـ)، وهو مطبوع في عدة مجلدات ومحقق.

– المحتسب لابن جني (ت 392 هـ)، وهو مطبوع محقق في مجلدين وخاص بالقراءات الشاذة.

– حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن، من رجال القرن الرابع، وهو يحتج لقراءات السبعة، وينسب كل وجه إلى صاحبه، وهو مطبوع محقق.

– الانتصار للقرآن للإمام الباقلاني أبى بكر بن الطيب، تحقيق الدكتور محمد عصام القضاة، الطبعة الأولى سنة 1422هـ–2001م، دار الفتح الأردن–دار ابن حزم لبنان.

– تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، تأليف محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، طبع في جدة سنة 1365هـ.

– القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، تأليف الدكتور محمود أحمد الصغير، الطبعة الأولى سنة 1999م، دار الفكر–دمشق.

المبحث الأول

التعريف بالإمام الثعالبي

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول

اسمه، نسبته، وشهرته

الفرع الأول: اسمه وكنيته:

هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجعفري، الجزائري، المالكي، أبو زيد[15].

الفرع الثاني: نسبته:

للإمام الثعالبي أكثر من نسبة، فقيل له الثعالبي، والجعفري، والجزائري، والمالكي.

فأما الثعالبي: فنسبة إلى الثعالبة بوطن الجزائر، قبيلة شهيرة به، من عرب معقل[16].

وأما الجعفري: فنسبة إلى جعفر بن أبي طالب الطيار شهيد مؤته[17].

وأما الجزائري: فنسبة إلى مدينة الجزائر الموجودة على ضفة البحر، بين إفريقية والمغرب، بينها وبين بجاية أربعة أيام، وتعرف بجزائر بني مزغنة، بها آثار قديمة وأبنية عجيبة[18].

وأما المالكي: فنسبة إلى الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة.

الفرع الثالث: شهرته:

اشتهر مترجمنا بالثعالبي، قال التنبكتي: "عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ... شهر بالثعالبي"[19].

المطلب الثاني

مولده ونشأته

الفرع الأول: مولده:

ولد رحمه الله سنة 785هـ بناحية وادي يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر[20].

الفرع الثاني: نشأته:

الملاحظ أن معظم من ترجم لعبد الرحمن الثعالبي لم يذكر شيئا عن نشأته غير أنه لا يبعد أن يكون نشأ في بيت علم وفقه وفضل، ذلك أن رحلته العلمية بدأها صحبة والده وعمره 17 سنة وهذا دليل على أنه درج على طلب العلم كما يطلبه أهله من قراءة كتاب الله وحفظه في الصغر، واطلاعه على كتب التاريخ، والتفسير، والحديث، والأصول، والكلام، والأدب، واللغة، والنحو، والصرف، والعروض، وغيرها[21].

المطلب الثالث

رحلاته

يَذكر الإمام الثعالبي رحمه الله –وهذا كعادة من سبقه من أهل العلم– أنه سافر في طلب العلم لعدة جهات، وكانت له لقاءات كثيرة مع أئمة العلم والدين، فنراه يقول عن رحلاته ما يلي:

الفرع الأول: رحلته إلى بجاية:

قال رحمه الله: "رَحَلتُ في طلب العلم في أواخر القرن الثامن، ودخلت بجاية في أوائل القرن التاسع (802 هـ)، فلقيت بها الأئمةَ المقتدى بهم في العلم والدين والورع أصحابَ سيدي عبد الرحمن الوَغْليسي متوافرين، فحضرت مجالسهم، وكانت عمدةُ قراءتي بها على سيدي علي بن

عثمان المانجلاتي رحمه الله بمسجد عين البربر"[22]، ومكث ببجاية في هذه الرحلة سبع سنوات لازم فيها مجالس علمائها وأخذ عنهم مختلف العلوم[23].

الفرع الثاني: رحلته إلى تونس:

وفي هذا يقول رحمه الله: "ثم ارتحلت إلى تونس عام تسعة أوائل عشرة (أواخر عام 809 هـــ أوائل عام 810 هـــ)، فلقيت بها سيدي عيسى الغبريني والأَبِيّ والبُرْزُلِيّ وغيرَهم وأخذت عنهم"[24]، ومكث بتونس في هذه الرحلة العلمية ثماني سنوات[25].

الفرع الثالث: رحلته إلى مصر:

قال رحمه الله: "ثم ارتحلت إلى المشرق، فلقيت بمصر الشيخ وليَّ الدين العراقي، فأخذت عنه علوما جمة، معظمُها علمُ الحديث، وفتح الله لي فيه فتحا عظيما، وكتب لي وأجازني جميع ما حضرته عليه[26]، كما أنني سمعت البخاري على البلالي وكثيرًا من اختصار الإحياء له، وحضرت مجلس شيخ المالكية بها أبي عبد اللَّه البساطي"[27].

الفرع الرابع: رحلته إلى مكة:

ثم رحل رحمه الله إلى مكة لأداء فريضة الحج[28]، وهناك التقى بعلماء الحديث ونهل من علمهم، وفي هذا الشأن يقول عن نفسه: "ثم لقيت بمكة بعضَ المُحَدّثين"[29].

الفرع الخامس: عودته إلى تونس:

وفي عام 819 هـــ عاد رحمه الله إلى تونس ومكث بها قرابة سنة ملازما جامع الزيتون يدرس ويدرس به[30]، وفي هذا يقول: " ثم رجعت إلى تونس وشاركت من بها، ولقيت بها شيخنا أبا عبد الله محمد بن مرزوق قادما لإرادة الحج، فأخذت عنه كثيرا، وأجازني التدريس في أنواع الفنون الإسلامية، وحرضني على إتمام تقييدِ وضعتُه على ابن الحاجب الفرعي، ولما فرغت من تحرير هذا المختصر وافق قدومَ شيخنا أبي عبد الله محمد بن مرزوق علينا في سَفْرَة سافرها من تلمسان متوجها إلى تونس ليصلح بين سلطانها وبين صاحب تلمسان، فأوقفته على هذا الكتاب، فنظر فيه وأمعن النظر، فَسُرَّ به سرورا كثيرا، ودعا لنا بخير والله الموفق بفضله"[31].

الفرع السادس: العودة إلى الوطن الأم (الجزائر):

ثم رجع إلى مدينة الجزائر سنة 820 هـــ بعد عشرين سنة قضاها في طلب العلم، واستقر بها معلما وواعظا إلى أن توفي رحمه الله[32].

المطلب الرابع

شيوخه وتلامذته

الفرع الأول: شيوخه:

تلقى الإمام الثعالبي –رحمه الله– العلم على عدد لا بأس به من العلماء والأئمة الأعلام[33]ن وساعده في ذلك رحلاته العلمية، ومن أبرز هؤلاء العلماء:

– ولي الدين العراقي، أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي لكردي الرازياني ثم المصري، حافظ عصره بدون مدافع، أملى أكثر من ستمائة مجلس. توفي سنة 826 هـ[34].

– الحفيد ابن مرزوق، محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله، المعروف بالحفيد، فقيه وحجة في المذهب المالكي، توفي سنة 842هـ[35].

– علي بن عثمان المنجلاتي البجائي الزواوي، أبو الحسن، من علماء بجاية وفقهائها، له فتاوى نقل بعضها في المازونية والمعيار[36].

– أبو مهدي عيسى الغبريني قاضي تونس وفقيهها، انتهت إليه رياستها بعد ابن عبد السلام وابن عرفة، قال عنه عبد الرحمن الثعالبي: "شيخنا أوحد زمانه علمًا ودينًا"، توفي سنة 813 هـ[37].

– أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني ثم التونسي: مفتيها وفقيهها وحافظها وإمامها بالجامع الأعظم بعد الإمام الغبريني. كان إليه المفزع في الفتوى. توفي سنة 841 هـ[38].

– أبو القاسم عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي، الإمام الحافظ العالم الجليل نادرة الزمان في الحفظ والإتقان. أخذ عن والده وغيره، وعنه الرصاع وغيره. توفي سنة 837 هـ[39].

– أبو عبد الله محمَّد بن خلف المعروف بالأبي الوشتاتي، أخذ عن أئمة منهم ابن عرفة لازمه وبه انتفع وهو من أكابر أصحابه توفي سنة 828 هـ[40].

الفرع الثاني: تلامذته:

تخرّج على يد الثعالبي –رحمه الله– نخبة من أعلام الفضل وفطاحل العلم والعلماء الأجلاء[41]، ومن أبرزهم:

– ابن مرزوق الكفيف، محمد بن محمد بن أحمد، من أعيان فقهاء المالكية. قال عنه الإمام أبو عبد الله محمد بن الإمام أبي العباس التلمساني في رحلته: "علم الأعلام حجة الإسلام آخر حفاظ المغرب"، توفي سنة: 901هـ[42].

– الشيخ السنوسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف، عالم تلمسان وإمامها وبركتها، صاحب العقائد، وحواشي الصحيح وغيرهما، توفي سنة 895 هـ[43].

– أبو الحسن علي بن محمَّد التالوتي الأنصاري التلمساني، فقيه عالم فاضل، توفي سنة 895 هـ[44].

– محمد بن عبد الكريم المغيلي، التلمساني، يروي عن الثعالبي ويحيى بن بدير وغيرهما توفي سنة 909 هـ[45].

المطلب الخامس

مؤلفاته ونشاطاته

الفرع الأول: مؤلفاته:

لقد خلَّف الثعالبي –عليه رحمة الله– بالإضافة إلى "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" كتبا نافعة، منها[46]:

–"الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز".

–"جامع الأمهات في أحكام العبادات" في فروع الفقه المالكي.

–"العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة".

–"قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين" في التصوف.

–"روضة الأنوار ونزهة الأخيار".

–كتاب "الأنوار في معجزات النبي المختار –صلى اللّه عليه وسلم–".

–كتاب "الدر الفائق" في الأذكار والدعوات.

– "جامح الهمم في أخبار الأمم".

– "المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع" في القراءات.

– "رياض الأنس" في الرقائق.

وغير ذلك من الكتب النافعة.

الفرع الثاني: نشاطاته

الفقرة الأولى: اشتغاله بالوعظ والرقائق:

لم يكن الإمام عبد الرحمن الثعالبي منكفئا على نفسه، بعيدا عن هموم مجتمعه وتطلعاته، بل كان مشتغلا بالوعظ والإرشاد والتذكير والدعـــوة إلى الله، فكان يعمل على تبصير الناس بشرائع الإسلام وحدوده، يذكرهم بخالقهم، ويجدد عهدهم به، ويحذرهم من اتباع خطوات الشيطان، وينقلهم من حال الغفلة إلى حال الذكرى[47].

الفقرة الثانية: توليه لمنصب القضاء:

عبد الرحمن الثعالبي عالم مفسر وفقيه نبيل، أخذ على عاتقه مسؤولية تعليم الناس، ومع هذا لم ينقطع عن هموم قومه وقضاياهم، بل كان يعايشها ويسعى إلى حلّها وحلّ النزاعات، لأجل هذا لم تنحصر نشاطاته في التعليم والوعظ فقط، بل تقلد القضاء على غير رضا منه ثم خلع نفسه،

وهذا يدل على سعة علمه، وعمق فقهه، وعظيم الثقة به[48].

المطلب السادس

ثناء العلماء عليه ووفاته

الفرع الأول: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

حظي عبد الرحمن الثعالبي بمكانة علمية بارزة عند العلماء وشهدوا له بالعلم والفضل والديانة.

قال عنه السخاوي: "كان إمامًا علامة مصنفًا"[49].

قال عنه الشيخ زروق: "شيخنا الفقيه الصالح ..كانت الديانة أغلب عليه من العلم فكان يتحرى في النقل أتم التحري، وإن كان لا يستوفيه في بعض المواضع"[50].

وقال عنه ابن سلامة البكري: "كان شيخنا الثعالبي رجلًا صالحًا زاهدًا عالمًا عارفًا وليًا من أكابر العلماء"[51].

وقال عنه التنبكتي: "وهو ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته"[52].

الفرع الثاني: وفاته:

توفي الإمام الثعالبي رحمه الله سنة 875 هـــ، ودفن بجبانة الطلبة في مدينة الجزائر[53].

المطلب السابع

التعريف بتفسير الثعالبي

يعدّ تفسير الإمام الثعالبي المسمى بـــ "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" تفسيرا أثريا ذا نزعة صوفية وعظية يهتم بالقضايا الاجتماعية[54]، وهو من التفاسير التي كتب الله لها القبول والانتشار، حيث اختصره مؤلفه من تفسير الإمام ابن عطية المسمى "المحرر الوجيز في شرح الكتاب العزيز"، مع إضافات مهمة نقلها عمن سبقه من المفسرين، وقد صرح بذلك وقال رحمه الله: "فقد ضمّنته بحمد الله المهمّ مما اشتمل عليه تفسير ابن عطيّة، وزدتّه فوائد جمّة من غيره من كتب الأئمّة وثقات أعلام هذه الأمّة حسبما رأيته أو روّيته عن الأثبات، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين، ومعدود في المحقّقين"[55].

ويعتبر تفسير الإمام الثعالبي التفسير الوحيد الذي وصل إلينا من القرن التاسع على ما ذكره المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله[56].

بدأ الثعالبي تفسيره بمقدمة أوضح فيها منهجه، فذكر أنّ من نقل عنه من المفسّرين شيئا، فمن تأليفه نقل، ولم ينقل شيئا من ذلك بالمعنى خوفَ الوقوع في الزّلل؛ وما انفرد بنقله عن الطبريّ، فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله محمد اللّخميّ النحويّ.

ثم بيّن أنّ كلّ ما في آخره "انتهى"، فليس من كلام ابن عطيّة، بل ذلك مما انفرد بنقله عن غيره؛ وجعل علامة (التاء "ت") لنفسه بدلا من "قلت"، وعلامة (العين "ع") لابن عطيّة، وعلامة (الصاد "ص") لمختصر الصفاقسي لتفسير أبي حيان.

ثم بين أن ما نقله من الأحاديث الصحيحة والحسنة عن غير البخاري ومسلم وأبي داوود والترمذي في باب الأذكار والدعوات، فأكثره من النووي وسلاح المؤمن، وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة، فمعظمه من التذكرة للقرطبي والعاقبة لعبد الحق، وربما زاد زيادات كثيرة من مصابيح البغوي وغيره، وكلّ ذلك معزوّ لمحالّه؛ وبالجملة فتفسيره هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم[57].

وبعد المقدمة تطرق الإمام الثعالبي إلى بيان فضل القرآن وتفسيره وإعرابه، ثم ذكر فصلا في الجرأة على التفسير ومراتب المفسرين، وبعدها تناول اختلاف الناس في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف، واختلافهم في الألفاظ الّتي في القرآن ممّا للغات العجم بها تعلّق، ثم شرع في تفسير القرآن مبتدئا بالاستعاذة والبسملة[58].

المبحث الثاني

تعامل الثعالبي مع القراءات

لم يقتصر الثعالبي في توجيهه للقراءات في كتابه الجواهر الحسان على طريقة واحدة، بل تعددت أساليبه في التوجيه واختلفت حسب تنوع القراءات واختلافها، وسوف أذكر لكل طريقة مثالا واحدًا أو أكثر:

المطلب الأول

التوجيه بالنظير من الآيات القرآنية

ومن ذلك:

1- قوله تعالى: «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» [آل عمران:146].

قرأ نافعٌ وابنُ كثير وأبو عمرو ويعقوب: «قُتِلَ» مَبْنياً لما لم يسمَّ فاعله، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف والأعمش «قَاتَلَ» بألف على أنه فعل ماض [59].

قال الثعالبي: فقوله: «قُتِلَ»، قال فيه جماعةٌ من المفسِّرين، منهم الطَّبريُّ: إنه مستند إلى ضميرِ «نَبِيٍّ»، والمعنى عندهم أنَّ النبيَّ قُتِلَ، ونحا إليه ابنُ عَبَّاس، وإذا كان هذا، ف «رِبِّيُّونَ» مرتفعٌ بالظرف بلا خلاف، وهو متعلِّق بمحذوفٍ، وليس متعلِّقاً ب «قُتِلَ»، وقال الحَسَن بْنُ أبي الحَسَن وجماعة: إنَّ «قُتِلَ» إنما هو مستندٌ إلى قوله: «رِبِّيُّون»، وهم المقتولُونَ، قال الحَسَن وابنُ

جُبَيْر: لم يقتل نبيٌّ في حَرْبٍ قطُّ[60].

قال ابن عطية: ورجّح الطبري استناد «قتل» إلى «النبي» بدلالة نازلة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن المؤمنين إنما تخاذلوا لما قيل قتل محمد– فضرب المثل بنبي قتل[61].

وذهب الثعالبي إلى ترجيح قراءة «قُتِلَ»، وقوّاه بقول الله تعالى: «أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» [آل عمران:144]، فقال رحمه الله: "وترجيحُ الطبريِّ حسن ويؤيِّد ذلك ما تقدَّم من قوله: «أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ» [آل عمران:144]"[62].

2– قوله تعالى: «لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ» [الصافات:8].

قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف «لا يَسَّمَّعُونَ»، –بشد السين والميم، بمعنى: لا يَتَسَمَّعُونَ، فأدغمت التاء في السن، وقرأ الجمهور: أبو بكر عن عاصم وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «لا يَسْمَعُونَ» بتخفيف السين[63].

قال الثعالبي: فينتفي على قراءة الجمهور سَمَاعُهُمْ، وإن كانوا يستمعون وهو المعنى الصحيحُ، ويعْضُدُه قولهُ تعالى: «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ» [الشعراء:212][64].

المطلب الثاني

التوجيه بالاعتماد على رسم المصحف

ومن ذلك:

1– قوله عز وجل: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» [آل عمران:133].

قرأ الجمهور «وَسَارِعُوا» بالواو؛ عطف أمرية على مثلها، وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بغير واو قبل السين على الاستئناف[65].

قال الثعالبي وهو يحتج لقراءة نافع وابن عامر: "وكذلك هي في مصاحِفِ أهل المدينة والشام"[66].

2– قوله عز وجل: "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ" [الأعراف:43].

قال الثعالبي: "وقرأ ابن عامر وحده: «ما كنا لنهتدي» بسقوط الواو، وكذلك هي في مصاحف أهل «الشام»، ووجهها أن الكلام متصل، مرتبط بما قبله"[67].

المطلب الثالث

التوجيه بالقراءة الشاذة

ومن أمثلة ذلك:

1- قوله جل وعلا: «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ» [الشعراء:22].

قال قتادة: هذا من موسى على جهة الإنكار على فرعون لعنه اللّه، كأنه يقول: أو يَصِحُّ لك أن تَعُدَّ عليّ نعمةَ تركَ قتلي من أجل أنَّك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم؟! أي: ليست بنعمة؛ لأَنَّ الواجب كان، ألاَّ تقتلَني ولا تقتلَهم، ولا تستعبدَهم، وقرأ الضَّحَّاك: «وتِلْكَ نِعْمَةٌ مَا لَكَ أَنْ تَمُنَّهَا عَلَيَّ»[68].

قال الثعالبي: "وهذه قراءة تؤيِّد هذا التأويل"[69].

2- وقوله تعالى: «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ»[التوبة: 128].

قال الثعالبي: "الآية مخاطبةٌ للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديدِ النعمة عليهم إذ جاءهم بلسانهم، وبما يفهمونه من الأغراض والفصاحة، وشُرِّفوا به غابر الدهر، وقوله: «مِنْ أَنْفُسِكُمْ»: يقتضي مدحا لنسبه صلّى الله عليه وسلّم، وأنه من صميمِ العَرَبِ، وشرفها، وقرأ عبد اللَّه بن قُسَيْطٍ المَكِّيُّ: «مِنْ أَنْفَسِكُمْ» - بفتح الفاء- من النّفاسة"[70].

المطلب الرابع

التوجيه بالحديث النبوي الشريف

ومثاله:

قوله تعالى: «فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ» [النمل: 22].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو «من سَبَأ» -بفتح الهَمْزَةِ وتَرْكِ الصَّرْف- على أنه اسمُ بَلْدَةٍ، قاله الحسن وقتادة[71].

وقرأ الباقون «من سَبَإٍ» بالكسر والتنوين، فهو مصروف لإرادة الحي[72].

قال الثعالبي مرجحا قول الجمهور بالحديث النبوي: "قرأ الجمهور «سَبَإٍ» بالصرف على أنه اسمُ رجل، وبه جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلّم من حديث فروةَ بن مسيك وغيره، سُئِلَ- عليه السلامُ- عَنْ سَبَإٍ فَقَالَ: «كَانَ رَجُلاً لَهُ عَشَرَةٌ مِنَ الْوَلَدِ تَيَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ وَتَشَاءَمَ أَرْبَعَة»[73] ورواه الترمذي من طريق فروة بن مُسَيْك"[74].

المطلب الخامس

التوجيه بالمعنى التفسيري، والاستدلال بأسباب النزول للآية

ومن ذلك قوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» [آل عمران: 161].

قرأ ابنُ كَثِيرٍ وأبو عَمْرٍو وعاصم: «أَنْ يَغُلَّ» بفتح الياء، وضم الغين، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ويعقوب: «أَنْ يُغَلَّ» بضم الياء، وفتح الغين مبنيا للمفعول[75].

واللفظةُ –كما قال الثعالبي– "بمعنى الخِيَانة في خَفَاءٍ، تقولُ العربُ: أَغَلَّ الرَّجُلُ يُغِلُّ إِغْلاَلاً، إذا خان"[76].

ثم قال: "واختلفَ عَلَى القراءة الأولى (أي: أَنْ يَغُلَّ)، فقال ابنُ عَبَّاسٍ وغيره: نزلَتْ بسبب قَطِيفَةٍ حَمْرَاءَ فُقِدَتْ من المغانمِ يَوْمَ بَدْرٍ، فقال بعضُ النَّاس: لعلَّ رسُولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أَخَذَهَا... قال النَّقَّاش: ويقال: إنما نزلَتْ لأن الرماة قالوا يوم أُحُدٍ: الغنيمةَ الغنيمةَ، فإنا نخشى أن يقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: مَنْ أَخَذ شيئاً، فهو له. وأمَّا على القراءة الثانيةِ (أي: أَنْ يُغَلَّ)، فمعناها عند الجمهور، أي: ليس لأحدٍ أنْ يغل النبيَّ، أيْ: يخونه في الغنيمة لأنَّ المعاصِيَ تَعْظُمُ بحَضْرته لتعيين توقيره"[77].

ثم نقل رحمه الله تصحيح ابن العربي لهذه القراءة (أعني: أَنْ يُغَلَّ) وأقره، قال: "قال ابن العربي في «أحكامه»: وهذا القول هو الصحيحُ، وذلك أنَّ قوماً غَلُّوا من الغنائمِ، أو هَمُّوا، فأنزل اللَّه تعالَى الآية، فنهاهُمُ اللَّه عن ذلك، رواه الترمذيُّ. انتهى"[78].

المطلب السادس

التوجيه بلغة العرب

ومثاله:

1– قوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» [آل عمران:97].

قرأ حمزةُ والكِسَائيُّ وحَفْص عن عاصِم وخلف وأبو جعفر: «حِجُّ البَيْتِ»؛ بكَسْر الحاء، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب «حَجُّ البَيْتِ»؛ بفتح الحاء[79].

قال الثعالبي رحمه الله: "وقال الطبريُّ: هما لُغَتَانِ؛ الكَسْر: لُغَةُ نَجْدٍ، والفَتْحُ لغة أهل العَالِيَةِ"[80].

2– قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» [الأحزاب : 33]

قرأ الجمهور: «وقِرْن» بكسر القَافِ[81].

وقرأ نافع وعاصِم وأبو جعفر: «وقَرْن» بفتح القاف، أمر من قرِرن بكسر الراء الأولى[82].

قال الثعالبي رحمه الله: "فأما الأولى، أي: «وقِرْن»، فيصح أن تكونَ من الوَقار، ويصحُّ أن تَكُونَ من القَرَارِ، وأما قراءة الفتح، أي «وقَرْن»، فعلى لغة العرب قَرِرْتُ (بِكَسْرِ الرَّاءِ) أَقَرُّ (بفتح القاف) في المكان، وهي لغة ذكرها أبو عبيد في «الغريب المصنف» وذكرها الزَّجَّاجُ

وغيره"[83].

المطلب السابع

التوجيه الصرفي والنحوي

اعتمد الإمام الثعالبي في توجيهه للقراءات على قواعد النحو، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي:

1- قوله تعالى: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» [البقرة: 271].

قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَعَاصِم فِي رِوَايَة أبي بكر ونافع في رواية أبي جعفر «وَنُكَفِّرُ» بالنُّون وَالرَّفْع، وقَرَأَ ابْن عَامر وَعَاصِم فِي رِوَايَة حَفْص «وَيُكَفِّرُ» بِالْيَاءِ ورفع الراء، وَقَرَأَ نَافِع وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ وأبو جعفر وخلف «وَنُكَفِّرْ» بالنُّون وَجزم الرَّاء[84].

قال الثعالبي: "فأما رفْع الراء، فهو على وجهين: أحدهما: أن يكون الفعْلُ خبر ابتداءٍ، تقديره: ونحن نكفِّر، أو: واللَّه يكفر. والثَّاني: القطع، والاستِئْناف"[85].

ثم قال: "والجزمُ في الراءِ أفصحُ هذه القراءات، لأنها تؤذن بدُخُول التكفير في الجزاء، وكونه مشروطاً إن وقع الإخفاء، وأمَّا رفع الراءِ، فليس فيه هذا المعنى[86].

2- قوله تعالى: «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» [الأنعام: 94].

قرأ نافع وحفص عن عاصم والكسائي وأبو جعفر ويعقوب «بَيْنَكُمْ» -بالنصب- على أنه ظرف والفاعل مقدّر، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة «بَيْنُكُمْ» بالرفع فاعلا [87].

قال الثعالبي هو يوجّه قراءة النصب: "وقرأ نافع والكسائي «بَيْنَكُمْ» -بالنصب- على أنه ظرْفٌ، والتقدير: لقد تقطَّع الاتصال والارتباطُ بينكم، ونحْوُ هذا، وهذا وجهٌ واضحٌ، وعليه فسَّره الناس مجاهد وغيره"[88].

3- قوله سبحانه: «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» [التحريم:12].

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي «وكِتَابِهِ» على الإفراد، أي الإنجيل، وقرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم ويعقوب «وَكُتُبِهِ» -بضم التاء- وَالجَمْعِ، وذلك كلَّه مرادٌ بهِ التوراةُ والإنْجِيلُ [89].

قال الثعالبي مرجحا قراءة الإفراد: " قال الثعلبيُّ: واختار أبو حاتم قراءةَ أبي عمرٍو بالجَمْعِ لعمومِها، واختار أبو عبيدة قِراءَة الإفْرَادِ لأن الكتَابَ يُرَادُ به الجنسُ، انتهى وهو حَسَنٌ"[90].

4- قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» [سبأ: 20].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر «ولقد صَدَقَ» بِتَخْفِيف الدال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف «وَلَقَدْ صَدَّقَ» بتشديدها[91].

قال الثعالبي: "فالظّن على هذِهِ القِرَاءَةِ (بتشديد الدال) مَفْعُول «بَصدَّقَ» ومَعْنَى الآية: أَنَّ إبْلِيسَ ظَنَّ فِيهِمْ ظَنّاً حَيْثُ قَالَ: وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ [الأعراف: 17]، فَصَدَّقَ ظَنَّهُ فِيهِمْ؛ وأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ اتَّبَعُوهُ، وهُو اتِّبَاعٌ فِي كُفْرٍ، لأَنَّهُ فِي قِصَّة قَوْمٍ كُفَّارٍ"[92].

المطلب الثامن

التوجيه الفقهي

ومثاله قوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» [المائدة:6].

قال: "قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وأبو يعقوب ويخلف وحمزة: «وَأَرْجُلِكُمْ» بالخفض، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر وحفص عن عاصم: بالنَّصْب، وهو معطوف على «وَأَيْدِيَكُمْ»، وما قبله وحكمهما الغسل[93].

قال الثعالبي: ومن قرأ بالخفْضِ، جعل العامِلَ أَقْرَبَ العامِلَيْنِ، وجمهورُ الأُمَّة من الصحابة والتابعِينَ على أنَّ الفَرْضَ في الرجْلَيْن الغَسْلُ، وأنَّ المَسْح لا يجزئ.

ثم نقل كلام ابن العربيِّ في «القَبَس» وأقرّه: "ومَنْ قرأ «وَأَرْجُلِكُمْ» بالخَفْض، فإنه أراد المَسْح على الخُفَّيْن؛ وهو أحد التأويلاتِ في الآية". انتهى، وهذا هو الذي صحَّحه في "أحْكَامِهِ" [94].

الخاتمة:

- يعتبر علم القراءات القرآنية أحد العلوم المهمة؛ وأهميته تكمن في ردّ الاعتراضات والانتقادات التي يوردها بعض النحاة واللغويين والمفسرين على بعض وجوه القراءات.

- الإمام الثعالبي فقيه ضليع ومفسر جليل، ولقد أظهرت هذه الدراسة الجزئية لمنهجه في تعامله مع القراءات غزارة علمه وسعة اطلاعه.

- منهج الثعالبي في تعامله مع القراءات القرآنية يشبه منهج الكثير ممن سبقه، بل واعتمد عليهم بشكل واضح.

- اهتم الثعالبي بالاحتجاج للقراءات القرآنية، وله في ذلك توجيهات قيمة ونفيسة ومتنوعة، فتارة يحتج للقراءة بالنظير من الآيات القرآنية، وأخرى يوجهها بالمعنى التفسيري، والاستدلال

بأسباب النزول للآية، وأحيانا يلجأ إلى الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف وبلغة العرب، وهكذا.

التوصيات:

مما يحسن التوصية به في آخر هذا البحث ما يلي:

– الدعوة إلى الاهتمام بكتاب الله تعالى وبكل ما يتصل به من علوم وفنون، ومنه: علم القراءات وتوجيهها الذي يعتبر ضروريا لفهم الآيات الكريمة.

– القيام بدراسات وبحوث تهتم ببيان مناهج المفسرين في توجيه القراءات والاحتجاج لها.

–حث الباحثين على الاهتمام بإحياء تراث علماء الجزائر، فهو كثير ويحتاج إلى من يخدمه.

– ثمة أمور استوقفتني، وأنا أنجز هذا البحث، ارتأيت أن تكون أفاقا للبحث، أذكر منها:

المنهج الفقهي للإمام الثعالبي من خلال تفسيره "الجواهر الحسان".

المنهج الأصولي للإمام الثعالبي من خلال تفسيره "الجواهر الحسان".

الهوامش:

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429هـ–2008م، 2406/3.

(2) لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ، 556/13–557.

(3) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون)، دار الدعوة، د.ط.ت، 1016/2.

(4) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية: أحمد سعد محمد، القاهرة، مكتبة الآداب، د.ط.ت، ص:23.

(5) مقدمات في علم القراءات: محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، عمان–الأردن، دار عمار، ط1، 1422هـ–2001م، ص:201.

(6) مصطلحات علم توجيه القراءات القرآنية وما يتعلق به: عبد العلي المسئول، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1424هـ–2007م، ص:155.

(7) معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، عبد العلي المسئول، القاهرة، دار السلام، ط1، 1428هـ–2007م، ص: 156–157.

(8) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، 40/1.

(9) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ–1957م، 339/1.

(10) مقدمات في علم القراءات: محمد أحمد مفلح القضاة وآخرون، ص: 201.

(11) محاضرات في علوم القرآن: أبو عبد الله غانم بن قدوري، عمان، دار عمار، ط1، 1423هـ–

2003م، ص: 144-145.

(12) انظر: علم القراءات -نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية: نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، تقديم: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، الرياض-المملكة العربية السعودية، مكتبة التوبة، ط1، 1421هـ-2000م، ص:103.

(13) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، 1423 هـ-2002م، ص: 352-354، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات: عبد البديع النيرباني، دمشق، دار الغوثانى، ط1، 1427هـ-2006م، ص:19.

(14) انظر: المرجع نفسه، ص:352-354.

(15) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ - 2003م، 382/1، والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: الحجوي، محمد بن الحسن، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ-1995م، 307/2، ومعجم المؤلفين: كحالة، عمر رضا، اعتنى به وصححه وأخرجه مكتب تحقيق التراث، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، د.ت، 192/5.

(16) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: الحجوي، محمد بن الحسن، 307/2.

(17) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(18) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، بيروت، دار الجيل، د.ط، 1412 هـ، 330/1.

(19) نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس-ليبيا، دار الكاتب، ط2، 2000م، ص:257.

(20) معجم أعلام الجزائر- من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضر-: عادل نويهض، بيروت-لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط2، 1400هـ-1980م، ص:90، وانظر: معجم المؤلفين: كحالة، عمر رضا، 192/5.

(21) انظر: مقدمة الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418 هـ، 1/9-10.

(22) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 5/ 171، وانظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:258.

(23) انظر: آراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الاعتقادية من خلال تفسيره الجواهر الحسان -عرض ونقد-: علي بن يحيى كعبي، رسالة ماجستير، قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1435هـ-2014م، ص: 17.

(24) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 171/5، وانظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:258.

(25) انظر: آراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الاعتقادية من خلال تفسيره الجواهر الحسان –عرض ونقد–: علي بن يحيى كعبي، ص: 17.

(26) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 171/5.

(27) نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:258–259.

(28) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، شمس الدين أبو الخير، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ط.ت، 152/4، و معجم أعلام الجزائر– من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر–: عادل نويهض، ص:90.

(29) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 5/ 171.

(30) آراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الاعتقادية من خلال تفسيره الجواهر الحسان –عرض ونقد–: علي بن يحيى كعبي، ص: 17.

(31) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 171/5، وانظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:258.

(32) انظر: آراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الاعتقادية من خلال تفسيره الجواهر الحسان –عرض ونقد–: علي بن يحيى كعبي، ص: 18.

(33) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 171/5، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، 382/1.

(34) انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، بيروت– لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ط3، 1409هـ–1988م، 43/1، والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: الحجوي، محمد بن الحسن، 417/2، وانظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982م، 1118/2.

(35) انظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض، 483/2–484.

(36) نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:332، ومعجم أعلام

الجزائر– من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر–: عادل نويهض، ص:162–163.

(37) نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:297، والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: الحجوي، محمد بن الحسن، 296/2.

(38) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، 352/1–353، وانظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج:أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:368–370.

(39) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، 351/1. وانظر: معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض، 527/2.

(40) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، 363/1–364، وانظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:270.

(41) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، 382/1، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:260.

(42) انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير، 525/1–526، ومعجم أعلام الجزائر– من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر–: عادل نويهض، ص:292.

(43) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، 384/1–385، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير، 998/2–999.

(44) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد مخلوف، 384/1.

(45) انظر: المرجع نفسه، 395/1–396، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير، 573/2.

(46) انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:259–260، ومعجم أعلام الجزائر– من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر–: عادل نويهض، ص:90–91، ومعجم المؤلفين: كحالة، عمر رضا، 192/5.

(47) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، شمس الدين أبو الخير، 152/4.

(48) انظر: معجم أعلام الجزائر– من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر–: عادل نويهض، ص: 90.

(49) انظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أبو العباس التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد، ص:258.

(50) انظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(51) انظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(52) انظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(53) انظر: المرجع نفسه، ص: 260، ومعجم أعلام الجزائر- من صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر-: عادل نويهض، ص: 91، ومعجم المؤلفين: كحالة، عمر رضا، 192/5.

(54) التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا: محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ، 2/ 699-700.

(55) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 117/1-118.

(56) انظر: تاريخ الجزائر الثقافي: أبو القاسم سعد الله، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، 121/1.

(57) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 118/1-119.

(58) انظر: المرجع نفسه، 123/1-163.

(59) معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ-2002م، 589/2، والجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد ، 118/2.

(60) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 118/2.

(61) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، 1،/520.

(62) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 118/2.

(63) معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، 6/8-7.

(64) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 23/5.

(65) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: البنا، أحمد بن محمد الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، لبنان: دار الكتب العلمية، ط3، 2006م-1427هـ، ص: 228.

(66) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 105/2.

(67) المرجع نفسه، 31/3.

(68) المرجع نفسه، 226/4.

(69) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(70) المرجع نفسه، 232/3.

ومعنى «مِنْ أَنْفَسِكُمْ»: من خياركم، ومنه قولهم: هذا أنفس المتاع؛ أي: أجوده وخياره، واشتق اللفظ من النفس؛ وهي أشرف ما في الإنسان. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ابن جني، أبو الفتح عثمان، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، 1420هـ- 1999م، 306/1.

(71) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 247/2-248.

(72) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: البنا، أحمد بن محمد الدمياطي، 325/2.

(73) تمام الحديث، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ المُرَادِيِّ، قَالَ: "... قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا سَبَأٌ، أَرْضٌ أَوْ امْرَأَةٌ؟ قَالَ: "لَيْسَ بِأَرْضٍ وَلَا امْرَأَةٍ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشْرَةً مِنَ العَرَبِ، فَتَيَامَنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ، وَتَشَاءَمَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءَمُوا فَلَخْمٌ، وَجُذَامُ، وَغَسَّانُ، وَعَامِلَةُ، وَأَمَّا الَّذِينَ تَيَامَنُوا: فَالأُزْدُ، وَالأَشْعَرِيُّونَ، وَحِمْيَرٌ، وَمَذْحِجٌ، وَأَنْمَارٌ، وَكِنْدَةُ ". فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا أَنْمَارٌ؟ قَالَ: «الَّذِينَ مِنْهُمْ خَثْعَمُ، وَبَجِيلَةُ». أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب تفسير القرآن، باب وَمِنْ سُورَةِ سَبَأ، رقم (3222)، ثم قال: "هذا حديث حسن غريب"، و أحمد في "مسنده" رقم (89/24009)، 530/39.

(74) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 247/2-248.

(75) معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، 612/1.

(76) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 134/2.

(77) المرجع نفسه، 134/2.

(78) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(79) معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، 548/1.

(80) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 80/2.

(81) المرجع نفسه، 4/ 345.

(82) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: البنا، أحمد بن محمد الدمياطي، ص:454.

(83) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 4/ 345.

(84) معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، 390/2-391.

(85) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 528/1.

(86) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(87) معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، 531/1.

(88) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 497/2.

(89) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد،

454/5، ومعجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، 533/9.

(90) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 454/5.

(91) معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، 362/7.

(92) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 4/ 372.

(93) معجم القراءات: عبد اللطيف الخطيب، 231/2-232.

(94) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، أبو زيد، 352/2-357.

Imam Elthaalibi and his method in dealing with readings- the quran- in his book Eldjouaher Elhissen. -Models-

Dr. Zaidi Karim
Department of Sharia and Law, Faculty of Islamic Sciences, University of Algiers1.
abouhoussamdz@gmail.com

Abstract:

This research aims at explaining the approach of Imam Abd al-Rahman al-Tha'ali, who died in 875 H, in the field of readings and in the interpretation of his book Eldjouaher Elhissen .

First, I referred to the statement of the concept of directing readings and its synonyms. Then, I have showed the importance of this knowledge and its principles. After that, I have made an introduction about the life and the achievements of Imam Elthaalibi with exposing his method according to the varity of the styles and readings.

Keywords: Elthaalibi - Orientating - Readings the quran – Interpretation - Eldjouaher Elhissen.